لوحة تنتظر التلوين

لقد بدأ الحنين ، ان قدرة عقلي على مغافلتي
والإشارة إلى تكسي الذكريات والركوب بسرعة
خارقة قبل حتى أن أستوعب أنها بدأت
تنساب الواحدة تلو الأخرى ، وكأني قمت
بتشغيل فلم لم يكتب له بعد الوصول لقصة
النهاية ومازلنا به وسط صراع حبكتها الطويل.

في قمة ازدحام المشاعر، ضحكات طفولية
أسمعها من بعيد ورشات ماء أكاد أشعربها
تلامس بشرتي ورغبة طفولية بالانتقام السريع

ممن قام بسكب قطرات السعادة الآن على لوحة مفقودة الألوان

نعم كبرنا ، ولكن تم تحديد الزو ايا ، كلٌ منهم بقي في زاوية لوحده ، لقد سرقوا منا بقايا ذكريات لم تكتمل ، نعم كان سيكون التنازل كبلسم يروي أرضنا ولكن سيف كبريائهم تأكد من تقطيع كامل أواصر اللقاء على مدى عشرون لوحة عزلةٍ فارغة لم ترسم بعد ، نعم عشرون عاماً سعياً للانسجام في ظل ذاكرةٍ تعج بذكريات ولحظات ذهبية يحضرني بعضها ويقف بعضها منتظراً وقتا للهجوم.

في كل صباح ينبض أمل جديد يخبرني أن لا أستسلم وأن أغرز حب العائلة في أولادي، أعلمهم كيف يبنون ذكريات جديدة تبقى خالدة في قلوبهم تكون كلحامٍ لا يصدأ يتمسكون به معاً ، يعلمهم أن الحب يتجاوز الكبرياء بمراحل.

قبل أيام شعرت أن هنالك أمل في اعادة ترميم ما انكسروبناء متحفٍ كامل على أنقاض تلك اللوحات الصامتة فمهما تعثرت الخطى تبقى العائلة هي ميناء الوصول لكل فرد حتى لو طال التيه.

ذلك الفصل المظلم نسج خوفا في نفسي ، ف عزلة العشرين أصبح هاجساً ضد كبريائي ، أشعر أنه تهديد يمكن أن يمزق كل شيئ إلى شظايا، نعم لقد اتخذت قرار التنازل درعاً خوفا من تكرار السيناريو كلما احتدمت نيران الكبرياء .

إنها معادلة صعبة التوازن، حيث يصبح التنازل فيها لغة، تُتقن فن الإنقاذ ، إنني أسعى لمعرفة حدود ذلك التنازل، بحيث لا يتحول إلى خضوع يُذل، بل يبقى كجسر نعبر به نحو فضاء من الحب ، أتمنى أن تجد تلك اللغة صداها في قلوبهم قبل أن تضيع أصواتنا في صحراء كبريائهم.

نريد كرم مشاعر يتجاوز الماديات يروي عطش سنين من فراغ الذكريات ، كرما يعيد تعريف العلاقات ، كرما يغني قلوب جرحانا مشاعرا جميلة خلابة .

كلما أتقدم بعمري خطوات أدرك أهمية زرع بذور قيم العطاء والكرم في نفوس أطفالي وأحلم بأن أراها ثروات عند أجيالنا لا تقدر بالمال بل بقيمة الإتحاد والحب بعد ركامٍ عايشته من الفرقة بعد أن كانت تلك الوجوه التي نحبها جزءاً لا يتجزء من يومنا، فرشاتي فقدت طريقها إلى لوحاتي فهي خجلة من رسم ملامح ذكريات بدون أن تكون تلك الوجوه جزءاً منها.

تلك الذكريات السعيدة تغمرني وتعانق روحي تجعل حاضري صعب التنفس تحت وطأة الحنين.

لربما يكمن السر في التعلم كيف نحمل تلك الذكريات كدروع، وليس كقيود أن نسمح لها بأن تُلهمنا لحاضر أفضل وأكثر اشراقاً لا أن تقيدنا بها .